مخاطر وتحديات ثقافة العولمة على هويتنا الثقافية

د. مريم خليفة المبروك

محاضر كلية الاداب / جامعة سرت

مقدمة:

العولمة ظاهرة قديمة اتخذت أبعاداً جديدة، واكتسبت مضامين حديثة ، وقد ذاع استخدام مصطلح العولمة وانتشر على نطاق واسع منذ بداية تسعينيات القرن العشرين ، تحديداً بعد سقوط الاتحاد السوفيتي واستفراد أمريكيا بالقوة والهيمنة على دول العالم .

ارتبطت العولمة في أولى خطواتها بعالم الاقتصاد والمال ، إلا أن الأمر لم ينحصر في الاقتصادات المعولمة ، بل امتد وبسرعة العلاقات المتبادلة بين الأمم، سواء المتمثلة في تبادل السلع والخدمات، وفي انتقال رؤوس الأموال ، وفي انتشار المعلومات والأفكار، وأيضاً طالت ثقافات الشعوب وعاداتها وتقاليدها التي كانت إلى عهد قريب بمثابة عوالم تكتنفها الخصوصية والقداسة ، وبهذا ارتبطت العولمة بكافة المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية العميقة والمتنامية التي يشهدها عالمنا المعاصر.

ومن هنا تأتي **أهمية دراسة ظاهرة العولمة** التي لا تزال تطرح أسئلتها وتحدياتها بشدة على العالم، وبالتحديد على المجتمعات والدول التي ليست في عداد قواها، والتي تجد نفسها ضعيفة الممانعة لأحكامها القهرية، مثل مجتمعات دول الجنوب ، ومنها مجتمعنا العربي الإسلامي، الذي فرضت عليه تحديات يتحتم عليه أن يواجهها بسرعة وفعالية لكي يلحق بركب قطار العولمة .

أما الهدف من دراسة ظاهرة العولمة: تسليط الضوء على بيان مفهوم العولمة الثقافية وبيان التحديات التي تفرضها على هويتنا الثقافية ، والإشكالية التي سنحاول دراستها: هل تستطيع العولمة الثقافية التي يروج لها المفكرون والسياسيون الغربيون تشويه واختراق الثقافة العربية الإسلامية وتكريس الانشطار في هويتها الثقافية؟

لذلك فإن الحديث عن طبيعة التحديات التي تفرضها ثقافة الاختراق عل ثقافتنا العربية يأتي انطلاقاً من أن ثقافتنا وهويتنا العربية الإسلامية تعرضت ، منذ بداية اصطدامها بمؤثرات خارجية وحتى الآن، لمحاولات التشويه والاختراق المستمرة.

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه **المنهج التحليلي النقدي** الذي يقوم على تحليل ونقد كافة القضايا والآراء المتصلة بالموضوع، مع الالتزام التام بالموضوعية، باعتبارهما شرطين أساسين للدراسة العملية.

أولاً: المفاهيم والمصطلحات

1- مفهوم العولمة لغة واصطلاحاً :

العولمة لغة: تتفق أقدم المعاجم العربية بشأن إرجاع الكلمة إلى أصولها الأولى وهي كلمة (العالم) التي اشتق منها مصطلح (العولمة) ، فيحدد ابن منظور في لسان العرب كلمة (العالم) بأنها تعني : " العالمون : أصناف الخلق ، والعالم : الخلق كله ، وقيل هو ما احتواه بطن الفلك، وقيل : جمع العالم الخلق العوالم ، وفي التنزيل : الحمد لله رب العالمين ، ومعنى العالمين كل ما خلق الله ، وهو جمع عالم "[1].

أما العولمة اصطلاحاً: تعددت تعريفات العولمة اصطلاحاً بتعدد المفكرين ، فيرى **جلال أمين** الذي يعتقد أن ظاهرة العولمة ليست حديثة ، وإن شاع استخدامها كمصطلح في السنوات الأخيرة ، وخاصة بعد سقوط الاتحاد السوفييتي ، وإنما هي ظاهرة قديمة تعتمد عناصرها الأساسية على " ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم ، سواء المتمثلة في تبادل السلع والخدمات أو في انتقال رؤوس الأموال ، أو في انتشار المعلومات والأفكار أو في تأثر أمة بقيم وعادات غيرها من الأمم "[2] .

---

[1]- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور : لسان العرب ، مج 12 ، ط6 (بيروت ، دار صادر ، 1997م) ص 420 .

2- جلال أمين : العولمة والدولة (ندوة العرب والعولمة) ، ط1 (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1998) ، ص 153 .

ويؤكد **جلال أمين** أن كل هذه العناصر عرفها العالم منذ خمسة قرون ، أي منذ بداية الكشوف الجغرافية في أواخر القرن الخامس عشر .

كما يذهب **عبد الإله بلقزيز** إلى أن العولمة تمثل إرادة الهيمنة الرأسمالية الأمريكية ، فيقول : " العولمة هي الدرجة العليا في علاقات الهيمنة / التبعية الإمبريالية ، وهي لحظة التتويج لانتصار النظام الرأسمالي العالمي كونياً ، الذي خرج من رحم الدولة الوطنية ، وما برحت هذه تعيد إنتاجه ، داخل حدودها وخارجها على السواء "[1] .

ويتفق صادق **جلال العظم** مع **عبد الإله بلقزيز** فيقول: " بأن العولمة تمثل وصول نمط الإنتاج الرأسمالي عند منتصف هذا القرن تقريباً إلى نقطة الانتقال من عالية دائرة التبادل والتوزيع والسوق والتجارة والتداول ، إلى عالمية دائرة الإنتاج وإعادة الإنتاج ذاتها "[2] .

أيضاً يعرف **السيد يس** العولمة بأنها " سهولة حركة الناس والمعلومات والسلع بين الدول على نطاق كوني "[3] ، ويتفق **سيار الجميل** مع **السيد يس** في تسمية العولمة بالكونية ، ولكنه يختلف معه في مضمون العولمة ، أو كما يسميانها الكونية ، فيقول : " هي ظاهرة كونية مزدوجة تتعامل بين الشمال والجنوب ، كقوة مسيطرة في تفكيك الصيغ المألوفة ، وإعادة تركيبها من جديد، على أسس غير مألوفة البتة ، فتخلق بذلك روابط وأنساق جديدة ، تتجاوز حدود الدول والمجتمعات والمعاني والأنماط والسياقات ، كي تشكل كما تدعى النسق العالمي ضمن هياكل جديدة "[4] .

2- مفهوم الهوية لغة واصطلاحاً :

1- عبد الإله بلقزيز : عولمة الثقافة وثقافة العولمة ، ندوة العرب والعولمة ، ط1 (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1998م) ، ص 310 .

2- حسن حنفي وصادق جلال العظم ، ما العولمة، ط 2 (بيروت ، دار الفكر المعاصر ، 2002م) ، ص136 .

3- السيد يسين : في مفهوم العولمة ، ندوة العرب والعولمة ، مرجع سابق ، ص 27 .

4- سيار الجميل : العولمة الجديدة والمجال الحيوي للشرق الأوسط (مفاهيم عصر قادم) ط2 (الأردن ، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق ، 1996م) ، ص29 .

تتفق أغلب المعاجم والقواميس على أن الهوية تعني الامتياز عن الغير ، فالهوية كما عرفها المعجم الفلسفي هي : " اسم مشتق من حرف الرباط الذي يدل على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره .

وهو حرف في قولهم زيد هو حيوان أو إنسان (ابن رشد ، تفسير ما بعد الطبيعة) . وهوية الشيء وعينيته ووحدته وتشخيصه ، وخصوصيته ووجوده المتفرد كل واحد (الفارابي ، تعليقات) وقيل ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة ، ومن حيث امتيازه عن الأغيار يسمى هوية ..."[1] .

ولا يختلف المعنى اللغوي للهوية عن المعنى الاصطلاحي ، فكلاهما يعني التميز والاختلاف عن الأغيار ، فالهوية اصطلاحاً تعني " تلك الملامح والقسمات التي تميز جماعة ما أو شعباً ما عن الجماعات الأخرى . وهذه الملامح في الغالب تكون نتاج تأثيرات لا يمكن حصرها بدقة ، بعضها معروف أصله ، وبعضها غير معروف مصدره "[2] .

3- الثقافة لغة واصطلاحاً:

الثقافة لغة: تعني ثقف الرجل ثقافة صار حاذقاً: وثقف الشيء حذقته، والرجل المثقف : الرجل الحاذق الفهم[3]، أما اصطلاحاً: فالثقافة: كما يعرفها تايلور: " هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقيدة والأخلاق والقانون والعرف، وغيرها من القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع"[4].

ثانياً: مرجعية ومستويات الهوية الثقافية:

1- العلاقة بين الهوية والثقافة :

توجد علاقة قوية بين الهوية والثقافة ، بحيث يتعذر الفصل بينهما ، فالعلاقة بينمهما عكسية تكاملية ، أي أن كلا منهما مكمل للآخر ، فالثقافة تشكل المكون الرئيسي للهوية ، وهي التي تعطي الاسم والصورة والمعنى لجماعة ما ،

1- عبد المنعم حنفي ، المعجم الفلسفي ، ط1 (القاهرة ، الدار الشرقية ، 1990م) ص369 .
2- هويدا عدلي : العولمة والهوية الثقافية في أفريقيا ، دراسات (مجلة فصلية تصدر عن المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر ، العدد 11 ، السنة 3 ، شتاء 1370و . ر / 2002م) ص 65 .
3- جميل صليبا: المعجم الفلسفي ، ج1، (بيروت، دار الكتاب اللبناني، ب ط) ص 372.
4- عبد الهادي الجوهري: معجم علم الاجتماع، ب ط ، (الإسكندرية ، 1998م) ، ص 72.

وتجعلها متميزة عن بقية الجماعات الأخرى، ولا معنى لمفهوم الهوية خارج إطار الثقافة ، إذ إنه " ما من هوية إلا وتختزل ثقافة ، فلا هوية بدون منظور ثقافي، ولا تستند إلى خلفية ثقافية ، والثقافة في عمقها وجوهرها هوية قائمة الذات"[1] .

والعلاقة بين الهوية والثقافة علاقة " الذات بالإنتاج الثقافي ، ولا شك أن أي إنتاج ثقافي لا يتم في غياب ذات مفكرة "[2] . فالذات المفكرة تلعب دوراً كبيراً في إنتاج الثقافة ، وتحديد أهدافها، في كل مجتمع إنساني ،وفي كل عصر من العصور ، كما أن العلاقة بينهما علاقة تنوع ، فقد تتعدد الثقافات في الهوية الواحدة . والعكس صحيح ، فقد تتنوع الهويات في الثقافة الواحدة . كما هو الحال في الهوية العربية الإسلامية ، التي تشكلت من ثقافات الشعوب والأمم التي دخلها الإسلام ، سواء اعتنقته أم بقيت على عقائدها التي كانت تؤمن بها ، فجميعها ساهمت في صياغة ثقافة إسلامية ذات هوية حضارية متفردة .

والعلاقة بين الهوية والثقافة هي من جهة أخرى علاقة تلاحم ومصير ، فما يسري على الثقافة يسري على الهوية ، فالثقافة باعتبارها كماً هائلاً من المعتقدات والآداب والفنون ، تشكلت من خلاله الهوية الثقافية لمجتمع ما .

والهوية التي نعنيها في دراستنا هذه هي الهوية الثقافية التي تعني التميز والتفرد الثقافي، بكل ما يتضمنه معنى الثقافة من عادات وأنماط سلوك ومعايير ونظرة إلى الكون والحياة ، ويعرف الجابري الهوية الثقافية بأنها "كيان يصبر ويتطور ، وليست معطى جاهزاً ونهائياً . وهي تصير وتتطور إما في اتجاه الانكماش ، وإما في اتجاه الانتشار ، وهي تغتني بتجارب أهلها ومعاناتهم ، انتصاراتهم وتطلعاتهم ، وأيضاً باحتكاكها سلباً وإيجاباً مع الهويات الثقافية الأخرى ، التي تدخل معها في تغاير من نوع ما "[3] .

1- عبد العزيز بن عثمان التويجيري : العالم الإسلامي في عصر العولمة ، ب ط (القاهرة ، دار الشروق ، 2004م) ، ص 57 .
2- مبروكة الشريف : مخاطر الهيمنة على الهوية الثقافية وسبل التعامل معها ، دراسات المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر ، السنة 4 ، العدد 14 ، خريف 1372 و. ر / 2004م ، ص 33 .
3- محمد عابد الجابري : العولمة والهوية الثقافية ، مرجع سابق ، ص 298 .

ويندرج تحت الهوية الثقافية " النظام القيمي والأخلاقي والإبداع الفكري والأدبي لكل أمة أو شعب بما يسمح بالتحقق من مدى صدقية الحديث عن خصوصية وتمايز هذه الهوية من جهة ، ومدى قدرتها على التفاعل مع غيرها من الهويات الثقافية الأخرى بشكل إيجابي ، سواء على الصعيد المحلي والإقليمي ، أو على الساحة الإنسانية من جهة أخرى "[1] .

ولابد من التنبيه على أن مفهوم الهوية الثقافية الذي نشير إليه في دراستنا هذه هو مفهوم الهوية المشتركة لجميع أبناء وطنا العربي الكبير من المحيط إلى الخليج ، وهذا يعني عدم تجاهل أو إلغاء الهويات القطرية والجمعوية والطائفية ، لأنها هويات متعايشة تحت غطاء عربي واحد هو الوطن العربي ، فهذه التعددية واقع معاش لا يجوز القفز عليه وتجاهله ، بل يجب توظيفه بوعي لإغناء ثقافتنا العربية الإسلامية ، وخاصة أننا نعيش في زمن العولمة الغربية التي تحاول اقتلاع هويتنا من جذورها ، لكي نكون نسخاً مستنسخة من ثقافة الآخر المهيمن .

2– مستويات الهوية الثقافية :

تتحرك الهوية الثقافية في ثلاث دوائر متداخلة ذات مركز واحد :

أ– الفرد داخل الجماعة الواحدة : سواء أكانت هذه الجماعة قبيلة أو طائفة أم حزباً ، فالهوية هنا " هوية متميزة مستقلة ، عبارة عن (أنا) لها (آخر) داخل الجماعة نفسها "[2] .

ب– الجماعة داخل الأمة : هي نفسها كالفرد داخل الجماعة الواحدة ، " لكل منها ما يميزها داخل الهوية الثقافية المشتركة ، ولكل منها (أنا) خاصة بها ، و(آخر) من خلاله وعبره تتعرف على نفسها بوصفها ليست ‘إياه "[3] .

1– إبراهيم الحيدري : إعادة إنتاج الهوية العراقية : محاولة أولية لمعرفة الذات ونقدها في : www.althakafaaljadeda، ص 3 .
2– محمد عابد الجابري : العولمة والهوية الثقافية ، مرجع سابق ، ص 298 .
3– المرجع السابق ، ص 298 .

ج- **الأمة الواحدة إزاء الأمم الأخرى** : هي نفسها كعلاقة الجماعات داخل الأمة الواحدة غير " أنها أكثر تجريداً ، وأوسع نطاقاً ، وأكثر قابلية للتعدد والتنوع والاختلاف "[1] .

والعلاقة بين مستويات الهوية الثلاثة : الفردية والجماعية والوطنية ، علاقة مد وجزر ، فهي ليست ثابتة ، وتتغير نحو الاتساع والضيق حسب الظروف والمعطيات المحيطة بها ، ولا تكتمل الهوية الثقافية ولا تبرز خصوصيتها الحضارية إلا إذا تجسدت مرجعيتها في كيان تتطابق فيه ثلاثة عناصر أساسية هي : الوطن بوصفه الأرض ، والجغرافيا والتاريخ ، وقد " أصبحت كياناً روحياً واحداً ، يعمر قلب كل مواطن "[2] . والأمة بوصفها " النسب الروحي الذي تنسجه الثقافة المشتركة ، وقوامها ذاكرة تاريخية وطموحات تعبر عنها الإرادة الجماعية التي يصنعها حب الوطن"[3]. ، والدولة بوصفها " التجسيد القانوني لوحدة الوطن والأمة ، والجهاز الساهر على سلامتها ووحدتهما وحماية مصالحهما وتمثيلهما إزاء الدول الأخرى ، في زمن السلم كما في زمن الحرب "[4] .

ثالثاً: الملامح العامة للعولمة الثقافية

1- المقصود بالعولمة الثقافية:

هي محاولة إيجاد ثقافة كونية أحادية ، هدفها "قولبة العالم في ثقافة واحدة، هي الثقافة الغربية الليبرالية، ونشر قيمها ومعاييرها، وذلك بهدف ضبط سلوك الدول والشعوب"[5]، وهذا يعني اتجاه الدول الغربية المتقدمة صناعياً وتقنياً ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ، نحو تنميط جميع ثقافات العالم بالنمط الثقافي الغربي ، وذلك من خلال اختراقها وإدخالها في إطارها الغربي الخاص ، وقيمها ومثلها الذاتية، فالعولمة الثقافية إذن تحمل في طياتها نوعاً من الهيمنة والقهر القائمين على الاختراق المتعمد، أي اختراق وقهر الثقافة الأقوى للثقافة الأضعف.

1- المرجع السابق ، ص 298 .

2- المرجع السابق ، ص 299 .

3- محمد عابد الجابري : العولمة والهوية الثقافية ، مرجع سابق ، ص 299 .

4- المرجع السابق ، ص 299 .

5- نجاح قدور: مستقبل الثقافة العربية في ظل العولمة ، ط1 (ليبيا، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، 2005م) ، ص12.

هذا الرأي يقول به عدد كبير من المفكرين العرب، فيرفض عبد الإله بلقزيز ما يدعيه مسوقو فكرة العولمة الثقافية من أن هذه العولمة هي حقبة انتقال ثقافة شعوب العالم الوطنية إلى ثقافة عليا جديدة، هي الثقافة الكونية، ويؤكد أن العولمة الثقافية هي عبارة عن " فعل اعتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات ، إنها رديف الاختراق الذي يجري بالعنف ، المسلح بالتقانة، فيهدر سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تبلغها عملية العولمة"[1].

وهناك من رأى أن العولمة الثقافية هي عملية اجتياح الثقافة الغربية لثقافات الدول الصغيرة والضعيفة وتهميشها، من أجل إفقاد "الدول الصغيرة ثقافتها، تحت ضغط الاجتياح الثقافي العالمي، فتبدأ في التخلي بالتدريج عن خصائصها الثقافية لصالح الثقافة العالمية"[2].

وينعت أغلب المفكرين العرب العولمة الثقافية بمترادفات تؤدي المعنى نفسه ، الغزو والاغتصاب والاختراق والصراع والنفي والاجتياح ، وكلها تعكس ذلك التخوف العربي من العولمة، على اعتبار أنها تمثل خطراً يداهم ويهمش ثقافتهم، ويهدد هويتهم، باعتبارهم الأضعف تكنولوجياً واقتصادياً، وخوف هؤلاء له ما يبرره، وبخاصة أن كثيراً من الأوروبيين يشاركونهم إياه، بالرغم من إمكاناتهم المتطورة، حيث نجد فرنسا تحاول جاهدة وقف خطر الهيمنة الثقافية الأمريكية على ثقافتها وعلى سائر الثقافات الأخرى.

إلا أن هذا التخوف من العولمة لا يعني أنه ليس ثمة من يرى فيها المثال الأفضل للخروج من " ثقافة ضيقة ومتعصبة ، إلى ثقافة عالمية واحدة، يتساوى فيها الناس جميعاً، والاتجاه نحو الانفتاح على مختلف الأفكار من دون تعصب ، والتحرر من كل مصدر للاعقلانية الناتجة عن التحيز المسبق لأمة أو دين أو إيديولوجية بعينها"[3].

واعتقد أن هذا الرأي تروج له الأغلبية الساحقة من المنظرين الغربيين الذين يرون في ثقافتهم الغربية المثل الأعلى لسائر الثقافات، والنموذج المتكامل في العلم والفكر والحضارة، متناسين بعمد حقيقة التنوع الثقافي لأمم العالم.

1- عبد الإله بلقزيز: عولمة الثقافة أو ثقافة العولمة، ندوة العرب والعولمة، مرجع سابق، ص 318.

2- محسن أحمد الخضيري: مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة اللادولة، ط1، (القاهرة ، مجموعة النيل العربية،200) ، ص 26.

3- جمعة محمد الأحول: الثقافة العربية الأفريقية في ظل العولمة، في : www.dirasat.com.p.5.ly.

أما الموقف الذي نتبناه فلا يخرج عن رأي المفكرين العرب الذين يرون أن العولمة الثقافية هي محاولة جادة تسعى نحو صياغة ثقافة أحادية غربية، تتولى زعامتها الولايات المتحدة الأمريكية، باعتبارها الدولة العظمى التي لها نصيب الأسد في احتكار تكنولوجيا العلوم والمعرفة.

2- سمات ثقافة العولمة:

من الواضح أن ثقافة العولمة تختلف اختلافاً كبيراً عن سائر الثقافات الوطنية والقومية، التي تتصف بالروحانية والعقلانية الفكرية ، والتي لها خصوصية عميقة في الكلمة المعبرة ، فإذا كانت القراءة والكتابة هي المعبر الأساس لسائر الثقافات ، فإن الكتابة ليست سمة من سمات ثقافة العولمة ، وهذا ما عبر عنه عبد الإله بلقزيز بقوله: " ثقافة العولمة هي ثقافة ما بعد المكتوب، الثقافة التي يؤرخ ميلادها لاحتضار الثقافة المكتوبة، وليست ثقافة ما بعد المكتوب تلك سوى ثقافة الصورة "[1].

ومن سمات ثقافة العولمة أيضاً ثقافة استهلاكية ذات نزعة مادية، بريقها مؤقت خاطف للأبصار ، لا يتغلغل في الشعور والوجدان ، فهي إذن " ثقافة تبريرية وتخديرية، تنمي روح الاستهلاك والابتذال والسلبية "[2]، والهدف من تنمية روح الاستهلاك هو فتح أسواق جديدة لترويج قيمهم الاستهلاكية المتداولة في حياتهم اليومية، مثل الكاوبوي وأسطوانات الروك والكوكا كولا .. الخ ، كما أنها ليست كباقي الثقافات ذات مضمون إنساني عقلاني عميق ، يخاطب الفكر والوعي والإدراك، وإنما هي ثقافة سطحية خالية من العمق الإنساني والإبداعي، تنمي قيماً " فردية مبتذلة ، تفتقد الحسي العميق بالهوية الذاتية والوطنية، وتهدف إلى تزييف الوعي والتقليل من أهمية التراث والقيم عامة "[3].

1_ عبد الإله بلقزيز: عولمة الثقافة أو ثقافة العولمة، مرجع سابق ، ص 314.

2- نجاح قدور: مستقبل الثقافة العربية في ظل العولمة ، مرجع سابق ، ص19.

3- نجاح قدور: مستقبل الثقافة العربية في ظل العولمة ، مرجع سابق ، ص 19.

هذه الثقافة تتسم أيضاً بأنها ثقافة سطحية ، تتمحور حول إثارة الغرائز والملذات الحسية والكسب السريع ، إلى جانب أنها " ثقافة لحظية آنية جامدة أحادية الاتجاه، تفتقد الحس التاريخي الشامل والخبرة المتراكمة"[1]، وتفتقد كذلك " الأسس الموضوعية والرؤية الكلية الشاملة والحس الإقناعي والوطني "[2].

كل هذه السمات تكرس " منظومة جديدة من المعايير ترفع من قيمة النفعية والفردانية الأنانية ، والمنزع المادي الغرائزي المجرد من أي محتوى إنساني "[3]، وتهدف إلى استلاب ثقافات الشعوب من موروثها الحضاري برمته وإبداله بثقافة وموروث استهلاكي سطحي مادي خال من المضمون.

3– مؤسسات العولمة الثقافية وأدواتها:

العولمة الثقافية بمختلف أبعادها أدوات ومؤسسات تعتمد عليها في عملية الممارسة والطرح تتمثل في :

أ– الشركات متعددة الجنسية:

تعد هذه الشركات من أهم قوى العولمة وأدواتها الفاعلة ، حيث تعتبر اللاعب الرئيسي في صنع القرارات المتعلقة بنوعية الإنتاج وطرق توزيعه وحجمه وقنواته، وذلك لما تتمتع به من "ضخامة الحجم وتنوع الأنشطة، والانتشار الجغرافي في العالم كله ، والقدرة على تعبئة المدخرات العالمية والاقتراض ، والمقدرة على استقطاب الكفاءات البشرية عالية المستوى"[4].

ولا تكتفي هذه الشركات ببسط نفوذها على المؤسسات والمنظمات الاقتصادية فحسب ، بل تسعى إلى بسط نفوذها على الجانب الإعلامي الاتصالي ، وذلك من خلال احتكارها وهيمنتها على إمبراطوريات وسائل الإعلام العالمية ، لكي تقوم بدمج الجانب الإعلامي والثقافي بالإنتاجية الاقتصادية .

ب– المؤسسات والمنظمات الدولية:

1– المرجع السابق ، ص19.

2– المرجع السابق ، ص 19.

3– عبد الإله بلقزيز: عولمة الثقافة أو ثقافة العولمة، مرجع سابق ، ص 317.

4– مؤيد عبد الجبار الحديثي: العولمة الإعلامية ، ط1 (عمان ، الأهلية للنشر والتوزيع، 2002) ، ص 72.

يرتكز محور اقتصاد العولمة على ثلاثة أعمدة رئيسية هي: " صندوق النقد الدولي ، البنك الدولي، منظمة التجارة ، أولها مالي ، والثاني تنموي، والثالث تجاري ، وهي المؤسسات الرئيسية والفعالة جداً في عولمة الاقتصادات الوطنية "[1].

وتعد هذه المؤسسات من أهم وأقوى أدوات العولمة وأبعدها أثراً ، وتسعى إلى تحقيق متطلبات العولمة المتمثلة في " التحرير المالي والتحرير التجاري على المستوى العالمي ، بهدف إقامة نظام نقدي ونظام تجاري دوليين متمثلين في أجزائهما وخصائصهما، بحيث تتحرك فيهما السلع والخدمات ورأس المال على المدى الطويل بحرية تامة "[2].

إلا انه على الرغم من الزعم بأن هذه المؤسسات تهدف وتسعى إلى تقديم المساعدات التنموية وتحرير التجارة الدولية ، إلا أن الواضح أنه أضخت ، للأسف الشديد ، تخضع لنفوذ وهيمنة الدول الصناعية المتقدمة ، ولا سيما أمريكا ، التي تهيمن عليها بثقلها الاقتصادي والمالي.

ج- أدوات الاتصال التكنولوجية والمعلوماتية:

لا تقتصر مؤسسات العولمة على منظمة الجات والشركات متعددة الجنسية، بل تمتد إلى جانب مهم يمثل عصبها الفعال، هو الجانب المعلوماتي الاتصالي، الذي يصبح العالم، من خلاله ، قرية كونية واحدة، تتوحد عبر الأقمار الصناعية والوسائل الإعلامية الفائقة السرعة والشبكات الاتصالية كالإنترنت .

كل هذه الوسائل الاتصالية المتقدمة ساهمت في توحيد العالم وتقاربه، وفي تحقيق نظم الفورية والجاهزية والحضور الاتصالي واسع النطاق، إلا أن احتكار الدول الغنية والمتقدمة صناعياً، وعلى رأسها أمريكا، لإمبراطوريات الإعلام الكونية وشبكات الاتصال الكونية ، عبر الشركات متعددة الجنسية ، أدى إلى خطورة ما يسمى إحلال عصر التخطي المعلوماتي

1- عبد المنعم السيد علي: العولمة من منظور اقتصادي وفرضية الاحتواء ، (مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، العدد 160، يونيو 1999)، ص 23.
2- المرجع السابق ، ص 26.

للحدود القومية حاملاً معه " ظاهرة الثقافة عابرة القوميات ، وهي عملية أساسية يحل فيها بدرجات متفاوتة وفي سياقات مختلفة تنظيم الشعوب بعضها ببعض ، بأساليب إلكترونية وليس بالجوار الجغرافي أو بالثقافة الوطنية أو القومية "[1].

وقد استطاع هذا النظام الإعلامي الغربي الجديد أن يبث وينقل ويخترق عبر أقماره الصناعية وشبكات الإنترنت والاتصالات ، قيم ورموز ثقافته الغربية الاستهلاكية إلى العالم ، أو كما يطلق عليه البعض ثقافة الكاوبوي واسطوانات الروك والبوب والكوكاكولا وإعلام C.N.N . وألعاب الفيديو الرقمية وغيرها من القيم الغربية المزيفة التي يسعى الشباب العربي إلى تقليدها واكتسابها واللحاق بها ، بدعوى أنها قمة الحضارة والمدنية[2] .

نحن إذن أمام سيادة ثقافة استهلاكية ، تروج لها وسائل الإعلام والاتصال الغربية ، سواء عن طريق وسائل الاتصال المختلفة ، كالإنترنت والكمبيوتر ، أو وسائل الترفيه الأخرى . إلا أن وسائل الإعلام الغربية تعول كثيراً على التلفزيون ، باعتباره المؤسسة الثقافية الأكثر تأثيراً ، والأسرع انتشاراً ، وخاصة بعد انفتاح قنوات الأقمار الصناعية بعضها على بعض ، واختلاط الحابل بالنابل —كما يقولون — فأصبحت هذه الأقمار تقصفنا " برسائلها عبر لواقط صغيرة ببرامج لا أول لها ولا آخر ، بعضها قريب من التراث ، وأغلبها بعيد عنه "[3].

إن وصول القيم إلى المتلقي العربي عبر لواقط الأقمار الصناعية دون حواجز تذكر ، يجعل الحديث عن الاختراق الثقافي يحل محل الحديث عن الغزو الثقافي ، لأن وسائل مقاومة الغزو الثقافي ، لأن مقاومة الغزو كانت متيسرة ؛ إذ كان بمقدور المؤسسات الحكومية والأهلية أن تقاوم ، أو على الأقل تخفف من آثاره السلبية . أما الآن فقد اختلف الوضع تماماً ، ولم يعد بمقدور هذه المؤسسات أن تقاوم هذا الاختراق ، لأن الأمر خرج من يدها ، وتعدى حدود الحكومات والجولة الوطنية .

1- عبد المنعم السيد علي: العولمة من منظور اقتصادي وفرضية الاحتواء ، مرجع سابق ، ص 75 .

2- مؤيد عبد الجبار الحديثي: العولمة الإعلامية ، مرجع سابق ، ص 180 .

3- عصام سليمان الموسى: تطوير الثقافة الجماهيرية العربية ، ط1 (دولة الإمارات العربية المتحدة ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، 2002 م) ص 65 .

ويرتبط الاختراق الثقافي للعولمة ارتباطاً وثيقاً بالخيارات السياسية والاقتصادية الغربية ، وذلك من خلال ما تروج له وسائل الإعلام الغربية من " قيم ثقافية وسلوكيات وأنماط عيش غربية وأذواق في الملبس والمأكل ، وصولاً إلى تفاصيل الحياة اليومية ، وكل ما يتعلق بها من شؤون تخص الفرد أو الأسرة أو المجتمع "[1].

ولذلك فقد أدى اختراق النمط المعيشي الغربي، بثقافته وقيمه، عبر وسائل الإعلام والاتصال المختلفة، إلى الفتك بنظام المناعة الاجتماعي والثقافي العربي، الذي أصبح أمراً واقعاً لابد من الاعتراف به، وعدم الخجل منه، إذ أضحت آثاره الواضحة تظهر وتنتشر داخل بيئتنا الاجتماعية، "فظواهر التفسخ الأخلاقي والتفكك الأسري، وظهور جرائم لم يكن المجتمع العربي الإسلامي يعرفها، وغيرها من الظواهر الغربية، دليل على أن هذا الاختراق بدأ يؤتي أكله"[2].

إن ما نخافه نحن من سطوة هذا النظام الإعلامي بآلياته المتعددة هو المسخ المنظم والتشويه التدريجي لقيم ومبادئ ومثل الإنسان العربي، حتى يصبح عاشقاً ومقلداً لنموذج الحياة الغربية، وخاصة أن المجتمع العربي هو مجتمع استهلاكي، يعتمد في معيشته على ما يصدره إليه الغرب من منتجات وتقنيات، تجعله فريسة سهلة لعملية التقليد والمحاكاة لنمط الحياة الغربية.

رابعاً: العولمة الثقافية ومحاولة تكريس الثنائية في هويتنا الثقافية

1- تكريس الثنائية والانشطار في الهوية الثقافية:

إن التحديات التي تطرحها العولمة الثقافية لا تقل خطورة عن التحديات التي عرفتها الهوية الثقافية العربية في مراحل سابقة، أي منذ احتكاكها عسكرياً وثقافياً مع الحضارة الغربية، أي منذ ما يقرب من قرنين من الزمان، إلا أن الذي يميز تحدي العولمة للهوية الثقافية العربية هو أن العولمة الثقافية الغربية امتلكت الآن الوسائل والأدوات التقنية الهائلة والمتطورة للوصول إلى عقل الإنسان العربي والمسلم، بشكل دائم ومستمر، والتلاعب به وتشكيكه في هويته وانتمائه وتكريس التبعية الحضارية لها.

1- حبيب آل جميع: العولمة في المجال الثقافي وجهة نظر نقدية في : www.unnabaa.com/hba38 ص2 .

2- حبيب آل جميع، العولمة في المجال الثقافي وجهة نظر نقدية ، مرجع سابق، ص 3.

وفي هذا الصدد تسعى ثقافة الاختراق، بنظامها السمعي البصري، إلى تكريس جملة أوهام تضرب في صميم الهوية الثقافية العربية، بمستوياتها الثلاثة: الفردية والجمعوية والوطنية القومية، هذه الأوهام هي نفسها مكونات الثقافة الإعلامية الجماهيرية في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد حصرها باحث أمريكي في خمسة أوهام هي:

أ– وهم الفردية: ويقوم هذا الوهم على اعتقاد أن حقيقة الإنسان ووجوده محصور في فرديته فقط، وكل ما عداء غريب عنه، ويعمل هذا الوهم على " تخريب وتمزيق الرابطة الجماعية التي تجعل الفرد يعي أو وجوده إنما يكمن في كونه عضواً في جماعة وفي طبقة وأمة"[1]، وهذا يعني أي إطار جماعي ينتمي إليه الفرد.

ب– وهم الخيار الشخصي: وهو مرتبط بالوهم الأول ومكمل له، فباسم الحرية والتحرر يكرس هذا الوهم "النزعة الأنانية، ويعمل على طمس الروح الجماعية، سواء أكانت صورة الوعي الطبقي أو الوعي القومي أو الشعور الإنساني"[2].

ج– وهم الحياد: ويدفع هذا الوهم بالأمور خطوة متقدمة لتكريس الفردانية، ويعمل على "تكريس التحلل من كل التزام أو ارتباط بأية قضية"[3].

د– وهم الاعتقاد في الطبيعة البشرية التي لا تتغير: ويرمي هذا الوهم إلى شل روح المقاومة والتحدي لدى الفرد وصرف نظره عن :رؤية الفوارق بين الأغنياء والفقراء، وبين البيض والسود[4].

هـ– وهم الاعتقاد في غياب الصراع الاجتماعي: وهو تتويج صريح للأوهام السابقة، ويعني "التطبيع مع الهيمنة والاستسلام لعملية الاستتباع الحضاري، الذي يشكل الهدف الأول والأخير للعولمة"[5].

هذه الأوهام تعمل على تشتيت إدراك المواطن العربي من خلال نظام ثقافة العولمة السمعي البصري، وإخضاعه لمفاهيم غريبة معاصرة، ليس لها علاقة بتكوينه الحضاري والثقافي وعاداته وقيمه الإسلامية القائمة على التضامن والتكافل

1- محمد عباد الجابري: العولمة والهوية الثقافية، مرجع سابق، ص 302.
2- محمد عباد الجابري: العولمة والهوية الثقافية، مرجع سابق ، ص 302-303.
3- المرجع السابق، ص 303.
4- المرجع السابق، ص 303.
5- محمد عباد الجابري: العولمة والهوية الثقافية، مرجع سابق ، ص 303.

الاجتماعي، والوحدة والعروبة والإسلام، ما يترتب عليه فقدان الشعور بالانتماء لأمته العربية الإسلامية، وإفراغ هويته الفردية والجمعوية والوطنية من كل مضمون ومحتوى .

إن نظام ثقافة الاختراق يسعى إلى نقل الفرد العربي إلى عالم اللاوطن واللادولة واللاأمة، عالم اللاإنتماء، إنه " عالم المؤسسات والشبكات العالمية، عالم الفاعلين، وهم المسيرون، والمفعول فيهم، وهم المستهلكون للسلع والصور والمعلومات والحركات والسكنات التي تفرض عليهم، أما وطنهم فهو الفضاء (المعلوماتي) الذي تصنعه شبكات الاتصال، الفضاء الذي يحتوي – يسيطر ويوجه – الاقتصاد والسياسة والثقافة"[1].

العولمة إذن هي نظام يقفز فوق الدولة والأمة والوطن، ويتحدى سلطة الدولة الوطنية، ويضعف دورها، من أجل تكريس تبعيتها لشبكات ومؤسسات الهيمنة العالمية، وإضعاف سيادة الدولة الوطنية، وسوف يؤدي حتماً إلى " إيقاظ أطر للانتماء سابقة على الأمة والدولة، أعني القبيلة والتناحر والإفناء المتبادل، إلى تمزيق الهوية الثقافية الوطنية القومية"[2].

ويترتب على إيقاظ أطر الانتماء الذي تحاول العولمة تكريسه صراع حول الهوية يدور في جانبه الثقافي بين نخب سياسية وثقافية عربية، بين من يدعون أنفسهم القوميين، ويطرحون السؤال المتكرر دائماً: هل نحن عرب أولاً، ومسلمون ثانياً؟ وبين الإسلاميين الذين يقدمون الهوية الإسلامية على الهوية القومية، إلى غير ذلك من السجالات السياسية الثقافية حول موضوع الهوية، وهو ما أفرز في السنوات الأخيرة صراعاً بين " أنصار الرؤية العلمانية للدولة والمجتمع والثقافة، وأنصار الرؤية الإسلامية الذين يريدون إقامة الدولة الإسلامية في السياسة والمجتمع والثقافة، مرحبين بالتعايش السلمي مع من يتمتعون بالهوية العربية وغيرهم بشروط معينة"[3].

إن الاختراق الذي يمارسه نظام ثقافة العولمة لا يقف عند حدود تكريس الاستتباع الحضاري لثقافة الغرب، إلى جانب إنماء الصراعات والانشطار في الهوية العربية، بل هو سلاح خطير يكرس الثنائية والانشطار في الهوية العربية، بمستوياتها

1- المرجع السابق، ص 303.
2- المرجع السابق، ص 304.
3- نجاح قدور: مستقبل الثقافة العربية في ظل العولمة، مرجع سابق، ص57.

الثلاثة: الفردي والجمعوي والوطني القومي، أحد طرفي هذه الثنائية يعكس " الهوية الثقافية على صورة (جمود على التقليد) ضمن قوالب ومفاهيم وآليات دفاعية تستعصي على الاختراق وتقاوم التجديد، والآخر يجسم الاختراق الثقافي، وقد اكتسح الساحة اكتساحاً/ ليتحول إلى ثقافة الاختراق، أعني الثقافة المبشرة به والمكرسة له"[1].

وعلى الرغم من أن ثنائية التقليدي والعصري تطبع الثقافة العربية منذ زمن طويل، إلا أن ثقافة الاختراق زادت الفجوة اتساعاً بين هذين الثنائيين، حيث استفادت النخبة العصرية من الوسائل السمعية البصرية التي تحمل هذا الاختراق وتكرسه، "فهي التي تستطيع امتلاكها والتعامل مع لغاتها الأجنبية، بحكم التعليم العصري الذي تتلقاه"[2]، أما عموم الشعب الذين يمثلون النخبة التقليدية " فهم في شبه عزلة تجتر بصورة أو بأخرى ثقافة الجمود على التقليد"[3].

إلا أن هذه ليست، من وجهة نظرنا، قاعدة نقف عندها، فكثير من النخب العصرية التي تلقت تعليمها في الغرب، ليس لها أي ولاء لثقافة الغرب وحضارته، وإنما ولاؤها لهويتها العربية الإسلامية.

وتستخدم ثقافة الاختراق وسائلها السمعية البصرية بإتقان لتكريس ثنائية الهوية الثقافية، وذلك من خلال دعاياتها المغرضة والمشوهة لركني الهوية الثقافية العربية: اللغة العربية والعقيدة الإسلامية، فالغرب يعي جيداً أهمية اللغة العربية والعقيدة الإسلامية في ترسيخ هذه الهوية الثقافية العربية الإسلامية، وثمة قلق حقيقي يساور منظري العولمة الثقافية بسبب تزايد الوزن الحضاري العالمي للإسلام واللغة العربية، ولذلك فهم يسعون، عبر وسائل إعلامهم واتصالهم المتطورة وقنواتهم الفضائية العالمية، إلصاق التهم بالإسلام وتشويه صورته، على اعتبار أنه دين متخلف غير تقدمي، وأنه سبب في عدم تقدم العرب في مجالات التنمية والثقافة، ويجاهرون بعدائهم له وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ويعتبرونه العدو الثاني بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، ولعل مقولة (صدام الحضارات) أكبر دليل على معاداة الغرب للإسلام والمسلمين، حيث تذهب هذه المقولة إلى أن الحضارة الإسلامية والكنفوشيوسية هما العدو الأوحد للغرب، وقد اتخذت الإدارة الأمريكية من هذه المقولة ذريعة لمعاداة

1- محمد عباد الجابري: العولمة والهوية الثقافية، مرجع سابق، ص 304-305.
2- محمد عباد الجابري: العولمة والهوية الثقافية، مرجع سابق، ص 305.
3- المرجع السابق، ص 305.

العرب والمسلمين، ولعل احتلالها للعرق وزرع الفتن في الشرق الأوسط أكبر دليل على ذلك، هذا بالإضافة إلى محاربة اللغة العربية ومحاولة تقزيمها وإقصائها عن جملة اللغات الرسمية المعتمدة دولياً، بذريعة افتقارها إلى المترجمين الفوريين، بعكس اللغات الأخرى المعتمدة دولياً، وفي مقابل ذلك يتم التأكيد على اعتبار اللغة الإنجليزية اللغة العالمية المتصدرة لكافة اللغات الأخرى، باعتبارها لغة العلم والتقنية والحداثة.

ومن المؤامرات التي تحاك بين الفنية والأخرى ضد لغتنا العربية مؤامرة الاستغناء عن كل أقسام البحوث " المتعلقة باللغة العربية في المركز القومي للبحث العلمي في فرنسا، تحت ذريعة إعادة الهيكلة، وكيف انحجب منبر الأدب العربي من معهد فرنسا المعروف بالكوليج دي فرانس"[1].

هذا إلى جانب المؤامرات التي نسهم فيها نحن – العرب والمسلمين – ضد لغتنا العربية عبر وسائل إعلامنا وفضائياتنا العربية التي تتشدق أغلبها بكلمات إنجليزية، أو تتحدث بلهجات محلية ركيكة بعيدة عن أصالة اللغة العربية الفصحى.

وهنا نصل إلى نقطة مهمة هي أننا نحن – العرب والمسلمين – أمام معركة وجود وتأكيد هوية، فإما أن نكون أو لا نكون، فنحن نتعرض لحرب فكرية ثقافية مسخ هويتنا وتقويض أركانها (اللغة العربية والدين)، بفعل سلاح الاختراق الذي تكرسه عبر ثقافة الصورة، فعلينا التصدي لها وحماية هويتنا، ولا يعني هذا الدخول في صراعات لا طائل من ورائها، بل نعني بذلك وضع استراتيجية إعلامية عربية موحدة، تتوحد فيها آراء المفكرين والمثقفين العرب لتوعية المواطن العربي بحجم هجمة التغريب الحاقدة التي تستهدف القضاء علينا.

2– استراتيجية الانفتاح والانغلاق العربي على العولمة الثقافية

إن السؤال الذي يطرح نفسه على الساحة العربية منذ سنوات ، ولا يزال يبحث عن إجابة شافية هو: هل ننفتح – تحت العرب – على العولمة الثقافية أم ننغلق دونها؟

1– نجاح قدور: مستقبل الثقافة العربية في ظل العولمة، مرجع سابق، ص 62.

تعددت الإجابة عن هذا السؤال بتعدد وجهات نظر المفكرين والعرب حول العولمة الثقافية، فانقسموا إلى ثلاث فئات بارزة، كل فئة لها رأي خاص بها، يعبر عن مدى انفتاح فكرها على العولمة الثقافية أو انغلاقه دونها، تلك الفئات الثلاث هي:

الأولى: فئة المفكرين التنويريين العرب المنبهرين بالتقدم العلمي التكنولوجي الذي حققه الغرب في كافة المجالات، والمرحبين بالانفتاح الكامل على العولمة الثقافية، والداعين المجتمع العربي إلى التعامل معها، وتوطيد علاقة الثقافة العربية بها، بدعوى " أن العصر الذي نعيش فيه ونتفاعل معه هو عصر المعلوماتية والمعرفة والرؤية المستقبلية، مدعوماً بالعلوم الحديثة، والتكنولوجيا المتطورة في علوم الاتصالات الفضائية والأرضية والأقمار الصناعية وشبكات الإنترنت"[1].

وترى هذه الفئة أنه لا مناص من الانفتاح على العولمة الثقافية والتجارب معها، دون خوف وتردد، لأن الانعزال عنها ورفضها يعني بشكل من الأشكال " انتحار من نوع خاص حضارياً واقتصادياً وتكنولوجياً"[2]، ذلك أن العولمة في نظرهم " قدر محتوم يجب إعداد العدة الكافية له، وبناء الاستعداد المتكامل والفهم الواعي والقراءة المستنيرة والاستراتيجيات المستقبلية لحجز مكان في قطار العولمة السريع، الذي سنكسب من جراء تخلفنا عن الركوب فيه أو اللحاق به خسارات تاريخية فادحة، نحتاج إلى مئات السنوات لتعويضها واختصارها"[3]، ويؤكد هؤلاء على ضرورة إحياء الفكر العربي وتجديده والإبداع فيه، وهم يرون أن عالم اليوم لم يعد يسمح لأي ثقافة بالتشرنق على نفسها والتقوقع داخل حدودها، فعالم اليوم هو عالم الانفتاح والأخذ والعطاء مع الآخر، إنه عالم التوازن الثقافي العالمي.

الفئة الثانية: هي فئة المفكرين السلفيين العرب الذين يرفضون العولمة رفضاً قاطعاً، ويجاهرون بكراهيتهم لها، ويدعون إلى وقف التعامل معها ومقاومتها، بحجة أنها ثقافة تروج لها الإمبريالية الغربية لفرضها على ثقافتنا العربية الإسلامية، من خلال السعي إلى " فرض العلمانية الثقافية التي تدعو إلى فصل الدين عن الدولة، وإقحام الحداثة والإبداع الفكري، من أجل اختراق

1- محمد الشبيني: صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، ط1، (بيروت، دار العلم للملايين، 2003م)، ص 303.
2- مؤيد عبد الجبار الحديثي: العولمة الإعلامية، مرجع سابق، ص 188.
3- المرجع السابق، ص 188.

التراث والتقاليد والقيم الإسلامية والتشويش عليها"[1]، وكل ذلك بهدف ترسيخ الهوية الحضارية الغربية وتحقيق هيمنتها على المجتمعات العربية الإسلامية، ومن ثم وجب علينا – نحن العرب– " الالتفات والرجوع والتمسك بكل إرثنا الحضاري وخصوصيتنا الثقافية، ويجب عدم الاستسلام والتسليم لهذا الغازي الجديد، وخلق البديل في الثقة بالذات، وإعداد الخطط ورسم الاستراتيجيات واستغلال عوامل القوة الكامنة فب الأمة وتطويرها"[2].

الفئة الثالثة: هي فئة المفكرين العرب الذين يسعون إلى التوفيقية المتوازنة التي تجمع بين المشاركة الفعالة في العولمة الثقافية، وفي الوقت نفسه المحافظة على ثقافة الأمة العربية وصيانة تراثها وهويتها، ولذلك فإنهم يعارضون الانعزال المطلق على العولمة الثقافية، لأن ذلك سوف يؤدي إلى تهميش الثقافة العربية وإبعادها عن الساحة العالمية الثقافية، وفي الوقت نفسه يرون أن الفكر الإسلامي الحالي قاصر عن الاستجابة لمتطلبات العصر الحضارية، وتوطين المعرفة والعلوم والتكنولوجيا الحديثة في المجتمعات العربية"[3]، ولذا فإنهم يدعون إلى " الاعتراف بالواقع الجديد ودخوله بخطة مدروسة ورؤية واعية والاستفادة من إيجابياته، والعودة إلى الذات ومحاولة ترتيب أوضاع البيت العربي، وإصلاح واقعنا العربي بكل محتوياته وتفاصيله، رافعين شعاراً يوجب علينا أن فكر عالمياً ونطبق محلياً، ويوجب الانفتاح على الآخر الجديد مع تحصين الذات"[4].

والرأي الذي نتبناه رأي الفئة الثالثة لأنه رأي ذو نظرة عقلانية نقدية يدعو إلى الابتكار والإبداع والاستفادة من التطور العلمي والتكنولوجي الهائل الذي يعيشه الغرب دون المساس بثوابتنا وقيمنا العربية الإسلامية، بعكس رأي الفئتين الأولى والثانية، اللتين تعكسان نظرة استسلامية بحتة، فالرأي الأول يعكس استسلاماً للآخر المتقدم تكنولوجياً وعلمياً دون شروط ومقدمات، وهذا يعني أننا أصبحنا نكرة لا قيمة لنا، نؤيد عملية التبعية الحضارية للغرب بشروطه المفروضة علينا، وليس

1- محمد الشبيني: صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، مرجع سابق، ص 304.
2- مؤيد عبد الجبار الحديثي: العولمة الإعلامية، مرجع سابق، ص 189.
3- محمد الشبيني: صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، مرجع سابق، ص 304.
4- مؤيد عبد الجبار الحديثي: العولمة الإعلامية، مرجع سابق، ص 189.

بشروطنا المفروضة عليه، أما الرأي الثاني فيعكس من جهته نظرة استسلامية للماضي، تتشبث به دون تطوير وتجديد، ومن هنا فإن كلا الرأيين على خطأ.

الخاتمـــة

وإجمالاً يمكن القول إن هذه الدراسة أكدت عل جملة نتائج لعل من أبرزها:

1– العولمة الثقافية أصبحت واقعاً لا مفر منه، تفرض نفسها على تنظيم وثقافة المجتمع الإنساني برمته، ولاسيما في هذا العصر ، الذي يشهد تطورات متسارعة في تقنية المعلومات والاتصالات.

2– أن العالم في زمن العولمة الغربية، وعلى الأخص الأمريكية، سيشهد حرباً ثقافية، أدواتها ليست الصواريخ عابرات القارات، وإنما الثقافات والهويات الوطنية والقومية والإثنية والعرقية والطائفية، وستقود هذه الحرب أمريكا بنظامها الإعلامي الثقافي المهيمن، فالثقافات المتعددة سوف تشكل نماذج صراع وتفكك في العالم.

3– أن الهوية تسعى دائماً إلى التفرد والتمييز والخصوصية والانتماء، فشعوب العالم تسعى الآن إلى الانتماء إلى هويات توجد فيها قواسم مشتركة، كالدين واللغة ورابطة الدم، وهذا ما ترفضه العولمة التي تسعى إلى تنميط العالم بثقافة أحادية، ومن ثم فإن هجوم العولمة على الهويات الثقافية لشعوب العالم، وصهرها في نمط ثقافي أحادي سوف يأتي بنتيجة سلبية على العولمة، وإيجابية على الهويات المختلفة حيث تسعى هذه الهويات للتصدي لهجوم العولمة بالتشبث بكيانها وبعوامل الإنماء لذواتها.

4- ستظل تحديات العولمة تشكل تهديداً واضحاً لشخصيتنا العربية الإسلامية، إذا لم يتم التعامل معها بحس نقدي وعقلانية متوهجة، تقوم على الفهم والتحليل والاستيعاب، فلا الرفض المطلق يكون نفعاً، ولا القبول المطلق يجدي نفعاً، والتعامل الأمثل يكون بالاستفادة من إيجابياتها، وتجنب سلبياتها، والتواصل معها ثقافياً وإعلامياً واقتصادياً، عل قاعدة ثابتة وهي أننا – نحن العرب – نولد صيغتنا الخاصة من العولمة، عل قاعدة الثوابت العربية الإسلامية,

وأخيراً يمكننا القول إننا نحتاج إل عولمة بديلة عادلة ، يشترك الجميع في صنعها وصياغتها، لا أن ينفرد طرف واحد بها، ويسخرها لصالح امتيازاته ووفق فلسفته الفكرية والاقتصادية والثقافية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المعاجم والموسوعات

[1]- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور : لسان العرب ، مج 12 ، ط6 (بيروت، دار صادر ، 1997م) .

2- جميل صليبا: المعجم الفلسفي ، ج1، (بيروت، دار الكتاب اللبناني، ب ط) .

3- عبد المنعم حنفي ، المعجم الفلسفي ، ط1 (القاهرة ، الدار الشرقية ، 1990م) .

4- عبد الهادي الجوهري: معجم علم الاجتماع، ب ط ، (الإسكندرية ، 1998م) .

ثانياً: المراجع

1- السيد يسين : في مفهوم العولمة ، ندوة العرب والعولمة ، ندوة العرب والعولمة ، ط1 (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1998م) .

2- جلال أمين : العولمة والدولة (ندوة العرب والعولمة) ، ط1 (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1998) .

3- حسن حنفي وصادق جلال العظم ، ما العولمة، ط 2 (بيروت ، دار الفكر المعاصر ، 2002م) .

4- سيار الجميل : العولمة الجديدة والمجال الحيوي للشرق الأوسط (مفاهيم عصر قادم) ط2 (الأردن ، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق ، 1996م) .

5- عبد الإله بلقزيز : عولمة الثقافة وثقافة العولمة ، ندوة العرب والعولمة ، ط1 (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1998م) .

6- عبد العزيز بن عثمان التويجيري : العالم الإسلامي في عصر العولمة ، ب ط (القاهرة ، دار الشروق ، 2004م) .

7- عبد المنعم السيد علي: العولمة من منظور اقتصادي وفرضية الاحتواء ، (مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، العدد 160، يونيو 1999).

8- عصام سليمان الموسى: تطوير الثقافة الجماهيرية العربية ، ط1 (دولة الإمارات العربية المتحدة ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، 2002 م) .

9- مبروكة الشريف : مخاطر الهيمنة على الهوية الثقافية وسبل التعامل معها ، دراسات المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر ، السنة 4 ، العدد 14 ، خريف 1372 و. ر / 2004م.

10- محسن أحمد الخضيري: مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة اللادولة، ط1، (القاهرة ، مجموعة النيل العربية،200) .

11- محمد الشبيني: صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، ط1، (بيروت، دار العلم للملايين، 2003م).

12- مؤيد عبد الجبار الحديثي: العولمة الإعلامية ، ط1 (عمان ، الأهلية للنشر والتوزيع، 2002) .

13- نجاح قدور: مستقبل الثقافة العربية في ظل العولمة ، ط1 (ليبيا، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، 2005م) .

14- هويدا عدلي : العولمة والهوية الثقافية في أفريقيا ، دراسات (مجلة فصلية تصدر عن المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر ، العدد 11 ، السنة 3 ، شتاء 1370و . ر / 2002م) .

ثالثاً:- مواقع على شبكة الانترنت

1- ابراهيم الحيدري : إعادة إنتاج الهوية العراقية : محاولة أولية لمعرفة الذات ونقدها في : www.althakafaaljadeda.

2- جمعة محمد الأحول: الثقافة العربية الأفريقية في ظل العولمة، في : www.dirasat.com.p.5.ly.

3- حبيب آل جميع: العولمة في المجال الثقافي وجهة نظر نقدية في : www.unnabaa.com/hba38 .